(كأين) تأصيلها ولغاتها والقراءات فيها، ومعناها*

أ.د. سعد حمدان الغامدي
كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى-
مكة المكرمة

الوزن الصرفيّ لكأيّن:

حاول ابن جنّي أن يزنها صرفياً على الرغم من أنها من الأدوات المبنية التي لا تدخل ضمن البحث الصرفي عند جمهور النحاة؛ إذ جعلوه خاصاً بالأسماء المعربة والأفعال المتصرفة، ولعله بهذا ينهج منهج الكوفيين الذين يتحدثون في تأصيل وبنية كثير من الأسماء المبنية، فكان الأمر عنده على النحو التالي:

1 - جعل (كأيّن) على وزن (كَفَعْلِنْ) فالكاف زائدة فجاءت بلفظها في الميزان، وعدّ الهمزة فاء الكلمة والياء الأولى عينها والثانية لامها، وعبّر عن التنوين بلفظه؛ لأنه عدّه زائداً.

2 - جعل وزن (أيّ) فَعْلاً، وذلك أن أصلها: أَوْيٍ؛ لأنها فَعْل من: (أَوَيْت) كما يقول.

(*) هذا الجزء الثاني المتمم للجزء الأول المنشور في العدد السابق متضمنا المبحث الأوّل: (كأين) تأصيلها ولغاتها والقراءات فيها، ومعناها.

3 - جعل (كائن) على وزن كَعْفِن، ومعلوم هنا قولهم بالقلب المكاني والحذف في هذه الصيغة، وكلاهما يراعى في الميزان الصرفي، فإحدى الياءين بعد التقديم حذفت، وقد نص على أن الياء الثانية هي التي حذفت وهي تقابل اللام في الميزان، ولذلك حذف ما يقابلها في الميزان، والياء الباقية التي تقابل العين في الميزان قلبت ألفا، وهذا النوع من القلب لا يراعى في الميزان فقد وزنوا: قال بـ (فَعَل)؛ لأنه (قوَم) كما يقول ابن جنّي، وأخّر فاء الميزان لتأخر فاء الكلمة، وعبر عن الزائد وهو الكاف والتنوين بلفظهما.

وعند من يرى أن الياء المقابلة لعين الكلمة هي المحذوفة فإن الوزن عنده (كَلْفِن) كما مرّ معنا عند السمين الحلبي في الدرّ.

4 - وذكر ابن جنّي أيضاً أن أصل (كائن) كيّئن -وقد رأينا أن بعضهم يكسر الياء وبعضهم يفتحها- وأنّ ابن يعيش يعدّها لغة، وقال إن مثالها جَيّد وسيّد، وعلى هذا فوزنها كما قال ابن جني كعْلَفِن، وأُثبتت في المحتسب بفتح اللام، وهو ضبط قلم، وأظن الصواب ما قاله ابن يعيش، وعلى هذا فاللام مكسورة.

5 - ذكر أيضاً أن (كيّئن) حذفت ياؤها الثانية كما حذفت من مَيْت فبقي (كَيْئِن)، وهكذا فهو يزنها (كَعْفِن) حاذفاً اللام من الميزان، ومقدماً العين على الفاء؛ لأن ذلك مما يراعي في الميزان الصرفي.

6 - جعل (كأْين) على وزن: كَفْعِن؛ لأن الهمزة عادت إلى مكانها من التقدم كما يقول. ويلاحظ أن اللام حذفت من الميزان. فإذا اعتقدنا أن العين هي المحذوفة كان الوزن كفْلِن.

7 - بقيت لغة واحدة من اللغات الست وهي (كَئِنْ) ووزنها حسب ابن جني (كَعِنْ) قال: «والعين واللام محذوفتان».

وهكذا يظهر لنا أنّ بعض النحاة يذكرون مثالين لكلمة كأيّن ولكلّ لغة من لغاتها؛ أحدهما يبين طريقة نطقها، والثاني يبيّن وزنها الصرفي، وهذا ما فعله ابن جنّي والقيسي والسمين الحلبي في بعضها ويمكن جمع ذلك على النحو التالي:

1 - كأَيِّن، مثالها: كَعَيِّن، ووزنها: كَفَعْلِنْ.

2 - كائن، مثالها: كاعن، ووزنها: كَعْفِنْ على رأيٍ، وكَلْفِن على آخر.

3 - كيِّئن، مثالها: كَيِّعِن، ووزنها: كعْلَفِن. (بكسر الياء وفتحها في المثال، وكسر اللام وفتحها في الميزان».

4 - كيْئِن، مثالها: كيْعِن، ووزنها: كَعْفِن أو كَلْفِن على رأي آخر.

5 - كأْيِن، مثالها: كَعْيِن، ووزنها: كَفْعِن أو كفْلِن.

6 - كَئِن، مثالها: كَعِن، ووزنها: كَفِنْ.[121]

كما يظهر أيضاً أن بعض حروف الكلمة لم يحدث له أيّ تغيير في أيّ لغة من هذه اللغات، وهما حرفا الكافُ والنون، ولم يحدث للهمزة أكثر من تأخيرها عن الياءين الباقيتين في (كيِّئن) والمحذوف إحداهما في (كائن) و(كيْئِن)، وبقيت الهمزة في موضعها في (كأْيِن) وربما كانت كذلك في (كَئِن) إلا إذا كان حذف الياءين حصل وهما متقدمتان عليها، وعلى كلّ حال فالهمزة بقيت في جميع لغات الكلمة.

أما ما تُصرّف فيه فهما الياءان، وذلك بالتقديم كما في (كيِّئن)، وبالقلب والإعلال لإحداهما والحذف للأخرى كما في (كائن)، وبالحذف لإحداهما وإبقاء الأخرى كما هي مُقدمةً كما في (كيْئِن)، أو مؤخرة كما في (كأْيِن)، أو بالحذف لكلتيهما كما في (كئن).

كما ظهر أنها مبنية في جميع لغاتها حتى (كائن) مما يدل على عدم صحة ما قيل من أنّها اسم فاعل من كان أوكاءَ، والله أعلم.

القراءات في كأيّن:

مما يتصل بالبحث في تأصيلها ولغاتها ذكر القراءاتِ المرويّة فيها.

لقد عد معجم القراءات القرآنية الذي أعدّه الدكتور أحمد مختارعمر وعبد العال سالم عشرَ قراءات في موضع آل عمران 146، ولكنّ بعضها كان نتيجة لقراءة خاطئة لمصارد هذه القراءات من ذلك (كأَنْ) والصواب (كئِن)، ورسمت في بعض المصادر كالبحر: (وكان) مما أوجد الخطأ في القراءة وذلك لعدم وضع همزة مكسورة في رسمها؛ إذ ترسم في مصادر أخرى كأِن.

وهاك عرضاً لما استطعت استخراجه من قراءات في هذه الكلمة وأقوال العلماء في كل موضع.

1 - كأَيِّنْ: بهمزة مفتوحة وياء مشدّدة مكسورة، وهي قراءة ستة من السبعة والمخالف ابن كثير (120هـ) قال ابن مجاهد (324هـ) «فقرأ ابن كثيروحده (وكائن)، الهمزة بين الألف والنون في وزن كاعِن، وقرأ الباقون (وكأيّن) الهمزة والكاف والياء مشدّدة في وزن (كعَيِّن)»[122] وكانت إحدى قراءتين ذكرهما الطبري[123] وجعلها أبو حيان قراءة الجمهور(124) هذا في الوصل، وقد ذكر مكّي أنه «ثبتت في المصاحف بعد الياء نون؛ لأنها نقلت عن أصلها».[125].

2 - وجاء في الشوارد للصغانيّ (ص61) في قسم ما قرئ في الشواذ من القراءات قوله رحمه الله: «كَيَيِّنْ: لغة في كأَيِّنْ، وقرأ ابن كثيرفي رواية شِبْل (148هـ) عنه {وكَيَيِّنْ من نَبِيٍّ}» آل عمران 146، ولا أعدها قراءة مستقلة

لأنها تسهيل لكأَيِّن، باستبدال ياء (محركة بالفتحة) بالهمزة (المتحركة بالفتحة)؛ والياء تناسب الياء المثقلة المكسورة بعدها، وقد مرّ حديث ذلك.

3 - كأَيٌّ (وقفاً): عن أبي عمرو (154هـ) أنّه وقف بغير نون على الأصل، لأنّه تنوين كما يقول مكي(126)، وجاء في البحر «وكتبت بنون في المصحف ووقف عليها أبو عمرو، وسورة بن المبارك عن الكسائي (189هـ) بياء دون نون ووقف الجمهور على النون اتباعاً للرسم».[127]

وذكر ابن الجزري في «حذف ما ثبت رسماً مما اختلف فيه كلمة واحدة» وهي (وكأيّن) قال: «وقعت في سبع مواضع في آل عمران ويوسف وفي الحج موضعان وفي العنكبوت والقتال والطلاق. فحذف النون منها ووقف على الياء أبو عمرو ويعقوب (205هـ)، ووقف الباقون بالنون وهو تنوين ثبت رسماً من أجل احتمال قراءة ابن كثيروأبي جعفر (130هـ) كما سيأتي والله أعلم».[128]

إذاً فأبو عمرو ويعقوب يقرآن بها وقفاً في جميع المواضع بدون نون حسب النشر، ويضاف إليهما سورة بن المبارك عن الكسائي في موضع آل عمران، حسب البحر.

4 - كائِنْ: قراءة لابن كثيروحده من السبعة كما يقول ابن مجاهد[129]، وقال القرطبي «وقرأ ابن كثير (وكائن) مثل (وكاعن) على وزن فاعل، وأصله كيْئِن فقلبت الياء ألفاً كما قلبت في يَيْأس فقيل ياءس».[130]

وذكر الدمياطي في الإتحاف أنه قرأ بها ابن كثير وأبو جعفر (وهو من العشرة) قال: «ووافقهما الحسن فيما عدا الحجّ»[131] (وهما موضعان في الحج).

وذكر أبو جعفر النحاس أن أكثر ما جاء في كلام العرب وأشعارها كائن من رجل قد رأيت، وقرأ بهذه اللغة جماعة من أئمة المسلمين منهم أبيّ بن كعب وعبد الله بن عباس ومجاهد وأبو جعفر وشيبة والأعرج والأعمش». [132] وهذا الكلام يبدو منه أنها قراءتهم في جميع المواضع، وإن كان قاله عند موضع يوسف.

5، -6 (كايِنْ) و(كَيِنْ): الأولى ذكرها الطبري (310هـ) قائلاً: «وقرأ آخرون بمد الألف وتخفيف الياء» علماً أنه لم يذكر مع قراءة الجمهور (كأيّن) سوى هذه القراءة، وقال عنهما «وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين، ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما، فبأيّ القراءتين قرأ ذلك قارئٌ فمصيبٌ، لاتفاق معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب» [133] ولم يسند أيّاً من القراءتين إلى أحد بل قال: «فقرأه بعضهم (وكأيّن) بهمز الألف وتشديد الياء، وقرأ آخرون بمدّ الألف وتخفيف الياء».

وحسب النشر فإنّ الذي سهل همزة (كائن) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة، قال: «وحققها الباقون» ثم قال: «وانفرد الهذلي عن ابن جماز بتحقيق الهمزة في كاين فخالف سائر الناس عنه والله أعلم، وانفرد أبو علي عن الأصبهاني بتسهيل الهمزة في موضع العنكبوت مع إدخال الألف قبلها كأبي جعفر سواء، وقد خالف في ذلك سائر الرواة عن النهرواني وعن الأصبهاني والله أعلم». [134]

وهناك ملحوظة بالنسبة لهذه القراءة فقد ذكر ابن خالويه أنه قرأ بها قتادة، وأشك في صحة قراءتها من قبل ناشر الكتاب المستشرق برجشتراسر [135]، ولعلها (كأْين) بهمزة ساكنة وياءٍ مكسورة وهي التي ذكر ابن جنّي أنّها لابن محيصن والأشهب والأعمش والله أعلم.

وذكر النحاس أنه «قد روى عن الحسن (وكاين) بغير همز».[136]

والثانية:وهي (كَيِن) ذكر أبو حيان أن الحسن البصري قرأ (كَيِن) بكاف بعدها ياء مكسورة منونة، وهذا في موضع آل عمران، وفي موضع يوسف ذكر أن صاحب اللوامح ذكر: «أنّ الحسن قرأ (وكَيِن) بياء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد، وجاء كذلك عن ابن محيصن فهي لغة انتهى».[137]

وقوله هي لغة لعله يقصد تسهيل الهمز في (كَئِن) أما أنها لغة مستقلة فهذا مستبعد، قياساً على أن اللغات كلها مهموزة؛ ولكن من العرب من يسهل الهمز كما في (كائن) التي مرّت.

ونُسِبَ إلى أبي جعفر أنه قرأ (وكائِن) مع التسهيل بالمدّ والقصر في موضع محمد.[138]

وجاء عند ابن خالوية «وكَيَنْ في وزن وكَعَن ابن محيصن»[139] وضبطها الناشر بفتح الكاف والياء والكاف والعين من الوزن ضبط قلم، وهو واهم، والصواب ما حرره أبو حيان من أنها بياء مكسورة.

-7 و(كأْيِنْ): كذا ضبطها ووصفها ابن جني بهمزة بعد الكاف ساكنة وياء بعدها مكسورة خفيفة ونون بعدها في وزن كَعْيِن، وذكر أنها قراءة ابن محيصن والأشهب والأعمش، ولم يذكر غيرها من الشواذ في موضع آل عمران[140]، وذكرها القرطبيّ عن ابن محيصن، مثل: وكَعْيِن وهو مقلوب كيْئِن المخفّف[141]، وذكر أبو حيان أنّ الذي قرأ بها ابن محيصن والأشهب العقيلي.[142]

وجاء في بعض المصادر (كأَيْن) بفتح الهمزة وإسكان الياء ضبط قلم وهو خطأ محض، والصواب ما قيده ابن جني من الضبط باللفظ.[143]

-8 (كيْئِنْ): ذكر القرطبي أن (كيْئِن) بياء ساكنة وهمزة مكسورة لغة، ولكنه لم يذكر القراءة بها وقال عنها «ولغة خامسة كيْئِن مثل كيْعِن وكأنه مخفف من كيِّئِن مقلوب كأيّن».[144] وقال أبو حيان «وقرأ بعض القراء من الشواذ (كيْئِن) وهو مقلوب قراءة ابن محيصن»[145] يقصد: كأْيِن مثل كَعْيِن التي مرت قبل هذه.

ولم يحسن ناشر شرح الأشموني ضبط هذه الكلمة فجعلها مفتوحة الياء مكسورة العين وهو ضبط قلم لم يقيد بالألفاظ، والصواب إسكان الياء وكسر العين، وكذلك كان الضبط خطأً في لغتي كأْيِنْ، وكَئِنْ حيث ضبطت الهمزة بالفتحة في الأولى والثانية، وهو خطأ محض.[146]

-9 كَئِنْ: بكسر الهمزة وتنوينها، ذكرها القرطبي قراءة لابن محيصن، وضبطها بقوله وكَئِن مهموزاً مقصوراً مثل: وكَعِنْ، وهو من (كائن) حذفت ألفه».[147]

وقال أبو حيان «وقرأ ابن محيصن فيما حكاه الداني كَئِن على مثال كَعِن وقال الشاعر:

كَئِن من صديق خلته صادق الإخا = أبان اختباري أنّه لي مداهن»[148]

وقد أخطأ واضعا معجم القراءات القرآنية في ضبطها فجعلاها (كأَن) بفتح الهمزة وما ذلك إلاّ أنها رسمت في البحر وغيرها (كان) غير مهموزة، ولكنّ شيخنا أ. د. محمد أحمد خاطر تنبّه إلى الصواب في هذه القراءة فضبطها على النحو التالي: «كَئِن بفتح الكاف وكسر الهمزة وسكون النون».[149]

ويبدو أن كَئِنْ تسهّل همزتها فتكون قراءة:كَين، وعلى هذا فإن القراءة الأساس لقراءات:كاين وكئِن وكَين هي قراءة ابن كثير (كائن) سهلت الهمزة فكانت كاين وحذفت الألف من كائن فكانت (كئِن) وسهلت الهمزة في هذه فكانت (كَين)، أو ربما كانت الأخيرة نتيجة حذف ألف كاين المسهلة الهمزة والله أعلم.

هذا ما تأكدت من وروده من القراءات في مصادر مختلفة مما دلني عليه معجم القراءات القرآنية أو وصلت إليه بنفسي، ونبهت على بعض أخطاء المعجم في طبعته الأولى والثانية التي استدرك بعضها واضعاه في آخر طبعاته.

وقد وجدت أن سبب هذه الأخطاء هو القراءة الخاطئة لبعض المصادر التي لم تعن بوضع الهمزة ولم تقيد كيفية قراءة الكلمة بالحروف.

وإذا تأملنا هذه الصور التسع للقراءات فإنّا نجدها لا تخرج عن خمس لغات من اللغات الست التي ذكرناها وذلك على النحو التالي:

1 - لغة (كأَيّن) بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة قرأ بها الجمهور بالنون وصلاً ووقفاً وهذه القراءة الأولى، وحذف بعض القرّاء النون وقفاً وهذه القراءة الثانية،وروى شبل عن ابن كثير تسهيل الهمزة إلى ياء متحركة (كَيَيّنْ).

2 - لغة (كائن) بألف بعد الكاف بعدها همزة مكسورة ونون، قرأ بها ابن كثيروجماعة من الأئمة. وقرأ أبو جعفر بتسهيل الهمزة فهاتان قراءتان في لغة واحدة.

3 - لغة (كأْين) بهمزة ساكنة وياء مكسورة مخفّفة، وربما سهلت همزتها فجاءت منها (كاين) إن لم تكن من كائن.

4 - لغة (كيْئِن) بياء ساكنة ثم همزة مكسورة. وقيل إنها مقلوب اللغة والقراءة السابقة، وهي اللغة الخامسة التي ذكر القرطبي أنه لم يقرأ بها.

5 - لغة (كَئِن) بهمزة مكسورة ولا ياء، ومثالها كَعِن، ووزنها الصرفي حسب ابن جنّي كَفِنْ، وجعلها بعضهم من (كائن) حذفت ألفها، ولعل قراءة كِين بياء مكسورة تسهيل لكئِن المهموزة، أو لعلها مقتطعة من (كاين) بالألف والياء.

وبقيت اللغة السادسة وهي (كَيِّئِنْ) وهي التي نص ابن يعيش دون سواه على أنها لغة، وكما هو ظاهر فإنه لم يقرأ بها أحد، والله أعلم.

المبحث الثاني: معناها

يقول سيبويه إنّ «كأيّن معناها (ربّ)»[150] ومعنى (ربّ) عنده هو: التكثير كما حققه ابن مالك إذ صحّح أن (ربّ) للتكثير، وذكر أنه مذهب سيبويه، وأنّ ابن خروف قال: «وذكر سيبويه في باب (كم) أنّ (ربّ) للتكثير» قال ابن مالك: «قلت: فمن كلامه الدال على ذلك قوله في باب (كم): «اعلم أن لكم موضعين: أحدهما: الاستفهام، والآخر: الخبر ومعناها معنى (ربّ)» ثم قال (يعني سيبويه) بعد ذلك في الباب: «واعلم أنّ (كم) في الخبر لا تعمل إلاّ فيما تعمل فيه (ربّ)؛ لأنّ المعنى واحد، إلاّ أن (كم) اسم و(ربّ) غير اسم»[151]، هذا نصّه، ولا معارض له في كتابه، فعُلِمَ أنّ مذهبه كون (ربّ) مساوية لكم الخبرية في المعنى، ولا خلاف أن معنى كم الخبرية: التكثير».[152]

إذاً فمراد سيبويه من جعل (كأيّن) بمعنى (ربّ) أنها بمعنى التكثير.

واختار جماعة من النحاة والمعربين أن يقولوا بأنها بمعنى (كم) دون نص على أنها للتكثير أو مع نصٍّ عليه؛ فأبو عبيدة يقول عند قوله تعالى:{فكأيّن من قرية أهلكناها} الحج 45: ومعناها: وكم من قرية، وقال عند قوله تعالى:{وكأين من دابّة} العنكبوت 60:»وكم من دابة»[153]، والفرّاء يقول: «ومعنى: وكأيّن: وكم»[154]، والفارسي يقول: «ومما يجري مجرى كم في أن المراد به التكثير قولهم: كأين رجلاً جاءك».[155] والجرجانيّ يقول: «وأما (كأيّن) فبمنزلة (كم) في الدلالة على العدد الكثير»[156] وعلى هذا المنوال نسج كلٌّ من الزجاج ومكّي وابن الأنباري والقيسي والعكبري والقرطبي وأبو حيان[157] مع نصّه أحياناً على أنها للتكثير دون ذكر لـ(كم)، وفعل ذلك غيرهم.

وذكر أبو حيان أنه مما يدل على أنّ (كأيّن) بمعنى كم قول [لعلها: الكميت]:

وكأيّن وكم من محدث قد أجرتم بلا سبب دان إليه ولا...[158]

عطفَ كم على كأيّن توكيداً كأنه قال: كم وكم ثم قال: «وزعم سيبويه أنّ معنى (كأيّن) معنى (ربّ)، قال بعض أصحابنا: وذلك غير خارج عما قاله غيره من النحويين من أنها بمعنى (كم)؛ لأن معنى (رب وكم وكأيّن) واحد؛ لأنّ جميعها يستعمل في المباهاة والافتخار».[159]

وقد وجدتُ بيتين في شعر الكميت فيهما عطف كم على كأيّن[160] وهما:

وكائن وكم من ذات وَدْقَين ضِئْبِلٍ نآدٍ كَفَيْتَ المسلمين عضالَها

وكائن وكم من ذي أواصر حوله أفاد رَغِيباتِ اللُّهى وجزالَها

وأقوى من هذا أن أُبَيًّا رضي الله عنه في قوله تعالى: {كم من فئةٍ قليلة غلَبَتْ فِئَةً كثيرةً بإِذْنِ اللهِ} البقرة 249 قرأ (كأَيِّن من فِئَةٍ قليلةٍ غلبت)، وهذا يدلّ بوضوح على أنهما بمعنى واحد.[161]

وللأعلم تعليق على هاتين الطريقتين بناه على ما رآه وجه شبه بين ربّ وكأيّن قال: «ومعنى (كأيّن) عند سيبويه كمعنى (رُبّ) وقال الفرّاء: معناها (كم)، وقول سيبويه أصحّ؛ لأنّ الكاف حرف دخوله على ما بعده كدخول (رُبّ)، و(كم) في نفسها اسم» وأضاف: «وأنت تقول: كم لك؟ ولا تقول كأين لك؟ كما لا تقول: ربّ لك».[162]

وطريقة أخرى في التعبير عن معنى (كأيّن)، وهي النص صراحة بأنّ معناها التكثير، وهذه الطريقة هي الأسلم؛ لأن الخلاف في دلالة (رُبّ) خلاف واسع وكبير[163] وكذلك خالف بعض النحاة في دلالة (كم) الخبرية على التكثير؛ إذْ جاء عند أبي حيان عن (كم): «وما ذكره المصنف (ابن مالك) من كون (كم) الخبرية يراد بها العدد الكثير هو مذهب المبرّد ومَنْ بعده من النحاة إلاّ أبا بكر بن طاهر وتلميذه ابن خروف، فإنهما زعما أنها تقع على القليل والكثير؛ من حيث كان معناها (ربّ)، وكما أنّ (ربّ) يكون للقليل، ويكون للكثير في مواضع المباهاة والافتخار، فكذلك (كم)، وزعما أن ذلك هو مذهب سيبويه والكسائي، قال سيبويه: «ومعناها ربّ»، وقال (ابن الكسائي) : وتقول: كم رجل كريم قد أتاني فكم إخبار بمعنى ربّ... قال: (ابن طاهر وابن خروف): «فهذا نصّ منهما على أنها تقع على القليل والكثير كما أنّ ربّ كذلك».[164]

واستدل ابن خروف على وقوع (كم) على القليل بما حكاه الأخفش عن العرب: «كم مكث عبدالله أيوماً أم يومين، ففسّر بالواحد والاثنين، ووجه الدليل من ذلك عنده أنّ (كم) الاستفهامية تعم (كم) الخبرية في اللفظ والمعنى، لا تفارقها في أكثر من أنها متضمنة لحرف الاستفهام وإلاّ فهما معاً واقعان على عدد مبهم، فكما أنّ الاستفهامية تقع على القليل فكذلك الخبرية؛ إذ لا يختلف مسمى الاسم بالنظر إلى الاستفهام والخبر».[165]

ورأى ابن عصفور أنه مما ينبغي أن يستدل به على أنّ (كم) الخبرية تقع على القليل والكثير قول الفرزدق[166]:

كم عمة لك يا جرير وخالة ... فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

شغّارةٍ تَقِذُ الفصيلَ برجلها ... فطّارةٍ لقوادم الأبكار

كنّا نحاذر أن تضيع لقاحُنا ... ولَهًا إذا سمعت دعاءَ يَسَارِ

قال: «ألا ترى أنه لا يمكن أن يكون لجرير عمّات وخالات كثيرة كلهن فُدْع، يقِذْن الفصلان بأرجلهن، حالبات لعشارِ الفرزدق، وكلفات براعيه يسار، ومما يبيّن أنّه ليس يريد تكثير العمات والخالات رواية من روى برفع عمة وخالة؛ ألا ترى أنّ العمّة والخالة لا يراد بهما [إلاّ] الأفراد، و(كم) واقعة على المراد..» الخ ما قال.[167]

إذاً فقول سيبويه إنّ (كأيّن) بمعنى (ربّ) وقول عدد من العلماء إنها بمعنى (كم) قد يفهم منه أنها تفيد التقليل والتكثير، كما فُهم ذلك في (كم) عندما ذكر سيبويه أنها بمعنى (ربّ) فلم يبق إلا أن يصرّح بمعناها، وجيّد أيضاً أن يقول بعضهم: «كأيّن بمنزلة (كم) في الدلالة على العدد الكثير»[168] وما شابه ذلك من عبارات توضح المراد بتنزيل كأيّن منزلة (كم) في المعنى.

وعلى كل حال فالذي يظهر من كلام النحاة أنه لا يراد بها إلا التكثير؛ لأنّ الاستعمال كذلك في الأكثر، ولا يعقل أن يقولوا بمعنى لم يرد به إلاّ استعمال نادر؛ وهاهو أبو حيان يقول: «والذي يظهر من استعمال العرب لها أنها للتكثير».[169] وبهذا تفارق (كم) و(كذا)، أختيها في الكناية عن العدد، بالنسبة للمعنى، ذلك أنه اختُلِفَ في (كم) على النحو الذي أوردنا، كما ظهر في (كذا) أنها لم توضع للتكثير بل هي مبهمة في العدد سواءً كان كثيراً أو قليلاً كما يقول أبو حيان.

أمّا كيفية حدوث هذا المعنى فيها فحديث هذا يتصل بالحديث عن تركيبها من الكاف التي هي للتشبيه قبل التركيب ومن (أيّ) التي هي استفهامية، وعندما أرادوا معنى جديداً ركبوهما.

يقول مكي عن (كأيّن): «هي (أيّ) دخلت عليها كاف التشبيه فصار الكلام بمعنى كم».[170] وعبارة السمين أوضح عندما يقول: «وحدث فيها بعد التركيب معنى التكثير» إلى أن قال: «وقد عهدنا في التركيب إحداث معنى آخر، ألا ترى أنّ لولا حدث لها معنى جديد».[171]

وقد مضى طرف من هذا في الحديث عن تركيبها.

كأيّن استفهامية:

في معناها يذكر ابن مالك أن (كأيّن) تنفرد عن (كذا) بأنها قد يستفهم بها، واحتج لذلك بقول أبيّ بن كعب رضي الله عنه لعبد الله: «كأيّن تقرأ سورة الأحزاب، أو كأيّن تعدّ سورة الأحزاب؟ فقال عبد الله: ثلاثاً وتسعين، فقال أبيّ: قط» أراد ما كانت كذا قطّ، كذا قال ابن مالك.[172]

والقول إنها تأتي للاستفهام نسبه ابن هشام إلى ابن عصفور[173]، ولم أجده في كتابيه المقرب وشرح الجمل، وإلى ابن قتيبة أيضاً، ولعله في كتاب الجامع في النحو الذي ذكره أبو حيان وأورد منه نصاً يقول: «(كأيّن) بمعنى (كم) تقول: بكأيّن تبيع هذا الثوب أي: بكم تبيعه»، وهذا المثال بالإضافة إلى أنّ فيه دخول حرف الجرّ على كأيّن فإنّها فيه استفهامية.

وعلى كلّ حال فإنه يظهر أن أبا حيان لا يرتضي أن تكون استفهامية؛ لأنه بعد أن أورد كلام ابن مالك قال: «[ولم][174] يذكر (يعني ابن مالك) دليلاً على أنه يستفهم بها سوى هذا الخبر»، ولأبي حيان موقف من ابن مالك في استشهاده بالحديث سواء أكان مما هو من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أم من الآثار المنسوبة إلى صحابته، ولذلك قال: «وقد تقدم لنا الكلام في أنّه يخالف النحاة في إثبات القواعد النحوية بما ورد في الآثار كهذا الأثر وغيره، وبيّنا العلة التي عدل النحويون لأجلها عن الاستشهاد بذلك»[175] ويمكن مراجعة موقفه من الاستشهاد بالحديث ومن ابن مالك في مظانه من كتبه وفي الاقتراح للسيوطي.[176]

وهذا الأثر ورد عند العكبري (616هـ) في كتابه إعراب الحديث النبوي، ولم يصرّح بأن كأين للاستفهام بل ذكر أنّها اسم بمعنى (كم) دون تحديد لكم هذه هل هي الخبرية أم الاستفهامية.[177]

وعلى كل حال فهذا الأثر في مسند أحمد برقم 21207 ونصّه:

«حدثنا عبد الله حدثنا خلف بن هشام حدثنا حمّاد بن زيد عن عاصم بن بَهْدَلَة عن زِرّ قال: قال لي أبيّ بن كعب: كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدّها؟، قال: قلت: ثلاثاً وسبعين آية، فقال: قطُّ؛ لقد رأيتها وإنها لتعادل

سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عليم حكيم)».

ولغة الصحابة كما هو معلوم حجّة، وأبو حيان جانبه الصواب في موقفه هذا، وقد عُني علماءٌ كثر بالرد عليه.

وللعلم فقد حلت (كم) محل كأيّن في رواية أخرى في المسند نفسه وكانت هكذا: "كم تقرؤون سورة الأحزاب..." الخ الحديث رقم 21206.

وهكذا فإنّ (كأيّن) تأتي خبرية تفيد التكثير واستفهامية، وربّما كانت خاصة بالسؤال عن الكثير، وهذه المعاني في (كم) بشكل ما.

الخاتمة:

كشف هذا البحث وجمع ما يتصل بكأين من حيث تأصيلها ولغاتها والقراءات فيها والمعاني التي تأتي عليها، وخلاصة ذلك على النحو الآتي:

-أن كأين مركبة من الكاف وأيّ الاستفهامية تحديدا، وفيها مباحث عدّة.

-أن لغاتها فيما أحصاه العلماء ست، ولا يدخل فيها ما سهلت همزته منها.

-أنها جاءت في القراءات على تسع صور، ولكنها لا تخرج عن خمس لغات من اللغات الست.

-أمّا بالنسبة لمعناها فإنها تأتي خبرية تفيد التكثير واستفهامية، والله أعلم.

الحواشي والتعليقات (الجزء الثاني):

(121) انظر المحتسب173-1/172 بتصرف، وإيضاح شواهد الإيضاح1/236 وما بعدها، والدر424-3/422.

(122) السبعة 216، وانظر الحجة للفارسي 3/80.

(123) جامع البيان 3/460.

(124) البحر 3/72.

(125) مشكل إعراب القرآن 1/160.

(126) نفسه 1/160، وانظر البيان 1/224.

(127) البحر 3/72.

(128) النشر 2/134.

(129) السبعة 216.

(130) الجامع 4/224.

(131) الإتحاف 1/489.

(132) إعراب القرآن 2/159، 160

(133) جامع البيان 3/460.

(134) النشر 2/344.

(135) مختصر في شواذ القراءات 22.

(136) إعراب القرآن 2/160.

(137) البحر 3/172، ثمّ5/351.

(138) النشر 1/400، 2/242، والإتحاف 393.

(139) مختصر في شواذ القراءات 22.

(140) المحتسب 1/170.

(141) الجامع 4/224.

(142) البحر 3/72.

(143) الأشموني 3/343.

(144) الجامع 4/224.

(145) البحر 3/72.

(146) الأشموني 3/343.

(147) الجامع 4/224.

(148) البحر 3/72.

(149) القراءات القرآنية في البحر 1/118، وانظرها في إعراب القرآن للنحاس 2/160.

(150) الكتاب 2/156.

(151) نفسه 2/161.

(152) شرح التسهيل 3/177، 178.

(153) مجاز القرآن 2/52، 53، 171.

(154) معاني القرآن للفراء 1/237.

(155) المقتصد 750، من نص الإيضاح.

(156) المقتصد 751.

(157) معاني القرآن وإعرابه 1/475، 3/431، 4/173، 5/8، 9، ومشكل إعراب القرآن 160، 161، 163، والبيان 1/224، وإيضاح شواهد الإيضاح 1/263، والتبيان 297، والجامع 4/224، والبحر 3/65، 73، 6/376، 379.

(158) لم أتمكن من قراءتها.

(159) التذييل 3/150أ.

(160) شعر الكميت: جاء البيت الأول وحده بلا سابق ولا لاحق ص:389، المقطوعة رقم 576، وجاء الثاني مع أبيات في المقطوعة رقم 577، في الصفحة نفسها.

(161) معاني القرآن للفراء 1/168، والبحر 2/267.

(162) النكت 533.

(163) انظر هذا الخلاف في الهمع 2/347-348.

(164) التذييل 3/150أ، والضمير في (منهما) يعود على سيبويه والكسائي.

(165) نفسه 3/143ب، 144أ.

(166) ديوان الفرزدق 1/361، والبيت الثالث قبل الثاني فيه.

(167) التذييل 3/44أ.

(168)

(169) التذييل 3/150أ.

(170) مشكل إعراب القرآن 1/160، وانظر 1/163.

(171) الدر 3/421.

(172) شرح التسهيل 2/423.

(173) المغني 246.

(174) في المخطوط (وقد) تحريفٌ.

(175) النصّان في التذييل 3/151أ. وبالنسبة لكلام ابن قتيبة فقد بحثت عنه في كتابه تلقين المعلم فلم أجده، علمًا أن محققه أشار إلى سقط في مبحث كم لم يُعرف مقداره، أمّا عن كتاب الجامع الذي ذكره أبو حيّان فالحقيقة أن المترجمين لابن قتيبة ذكروا كتابين: جامع النحو الصغير وجامع النحو الكبير، ويبدو أنهما مفقودان، انظر تلقين المتعلم، الدراسة:24، والنص: من 269 إلى 271 مع حاشيتها رقم 5.

(176) الإصباح شرح الاقتراح 98-76.

(177) النحاة والحديث النبوي (إعراب الحديث النبوي) 2/51، ومسند الإمام أحمد 35/133،134.

مصادر البحث:

- الإتحاف، للدمياطي (1117هـ)، نشره: شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب ط 1، 1407هـ

- الإصباح في شرح اقتراح السيوطي، لمحمود الفجال، ط1، دار القلم، دمشق، 1409هـ

- إعراب الحديث النبوي، للعكبري (616هـ)، تح: حسن الشاعر، دار المنارة ط2، جدة، 1408هـ

- إعراب القرآن، للنحاس (338هـ)، تح: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد.

- أمالي ابن الشجري (542هـ)، تح: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- الإنصاف، لابن الأنباري (517هـ)، ومعه: الانتصاف، لمحمد محيي الدين، القاهرة، 1380هـ

- إيضاح شواهد الإيضاح، للقيسي، من القرن السادس، تح: محمد الدعجاني، دار الغرب الإسلامي.

- البحر المحيط، لأبي حيان (754هـ)، دار الفكر، بيروت، 1403هـ

- البغداديات (المسائل المشكلة)، للفارسي (377هـ)، تح: السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد.

- البيان، لابن الأنباري (517)، تح: طه عبد الحميد، الهيئة المصرية للكتاب1400هـ

- التبيان في إعراب القرآن، للعكبري (616هـ)، تح: علي البجاوي، نشر عيسى البابي، مصر.

- التذييل والتكميل، لأبي حيان، مخطوط، دار الكتب.

- التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1417هـ

- تلقين المتعلم في النحو، لابن قتيبة (276)، تح: محمد سلامة الله، رسالة ماجستير، ج أم القرى.

- جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (310هـ)، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1418هـ

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (671هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي.

- الحجة للقرّاء السبعة، للفارسي (377)، تح: بدر الدين قهوجي وآخر، دار المأمون، ط1، 1407.

- دراسات لأسلوب القرآن، لمحمد عبد الخالق عضيمة، مطبعة السعادة، ط1، 1392هـ

- الدر اللقيط من البحر المحيط، الحنفي (749هـ)، بهامش البحر.

- الدر المصون، للسمين الحلبي (756هـ)، تح: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- ديوان الفرزدق، كرم البستاني، دار بيروت، 1400هـ

- زاد المسير، لابن الجوزي (597هـ)، المكتب الإسلامي، ط4، 1407هـ

- السبعة، لابن مجاهد (324هـ)، تح: شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، 1980م.

- سر صناعة الإعراب، لابن جنّي (392هـ)، تح: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، 1405هـ

- شرح الأشموني علي بن محمد (900هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- شرح ابن عقيل على الألفية، تح: محمد محيي الدين، ط20، دار التراث.

- شرح التسهيل لابن مالك(672)، تح: عبد الرحمن السيد والمختون، هجر، القاهرة، ط1، 1410هـ

- شرح الكافية، للرضي (686هـ)، قدم له وحشّاه، إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ

- شرح المفصل، لابن يعيش (643هـ)، عالم الكتب، بيروت.

- شعر الكميت، جمع وتقديم: داود سلّوم، عالم الكتب، ط2، 1417هـ

- الشوارد، للحسن بن محمد الصغاني (650) تح: مصطفى حجازي، نشر مجمع اللغة بمصر 1403.

- القراءات القرآنية في البحر، لمحمد أحمد خاطر، دار الباز، مكة المكرمة.

- الكامل، للمبرد (285هـ)، عني به: محمد أبو الفضل، دار نهضة مصر، القاهرة.

- الكتاب، لسيبويه (180)، تح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت 1403هـ

- مجاز القرآن، لأبي عبيدة (210)، تح: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر.

- المحتسب، لابن جنّي (392هـ)، تح: علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة، 1386هـ

- مختصر في شواذ القراءات، لابن خالويه (370هـ)، نشره: ج برجشتراسر، مكتبة المثنى، القاهرة.

- المسائل العضديات، للفارسي (377)، تح: علي جابر المنصوري، عالم الكتب، بيروت، 1406هـ

- مشكل إعراب القرآن، لمكّي بن أبي طالب (437)، تح: ياسين السواس، دار المأمون للتراث، دمشق.

- معاني القرآن، للفراء (207هـ)، تح: أحمد يوسف نجاتي وآخرين، بيروت، 1980هـ

- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (311)، تح:عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ

- مغني اللبيب، لابن هشام (761هـ)، تح: مازن مبارك و محمد علي حمد، دار الفكر، ط5، 1979م.

- المفصل، للزمخشري، ط2، دار الجيل، بيروت0

- المقتصد في شرح الإيضاح، للجرجاني (471هـ)، تح: كاظم بحر المرجان، بغداد، 1982م.

- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري (833هـ)، تصحيح: علي محمد الضبّاع، دار الفكر.

- النكت، للأعلم الشنتمري (476)، تح: زهير عبد المحسن، معهد المخطوطات العربية، الكويت ط1.

- همع الهوامع، للسيوطي، (911هـ) تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلميّة، الكويت.